كرة القدم والسياسة

نقطة
nuqta

NUQTADOC

فى مواجهة الإستعمار	5
الكرة في ملعب السلطة	8
أزمات دبلوماسية	11
المصادر	13

في ثلاثينيات القرن العشرين، كان فريق النمسا لكرة القدم واحدًا من أقوى الفرق في أوروبا والعالم، لكن يوم 12 مارس 1938 وقعت حادثة هزت العالم ولم تترك الكرة دون مساس. أعلن أدولف هتلر الذي كان مستشارًا لألمانيا آنذاك ضم النمسا إلى «ألمانيا العظمى»، وشجعه على ذلك الجناح النازي في الحكومة النمساوية. كان الاتحاد معناه أن تصبح الدولتان تحت قيادة الفوهرر، بما يتضمنه هذا الاتحاد من تبعات سياسية واقتصادية. لكن كانت هناك نتيجة أخرى كذلك.

حلت وزارة الرياضة منتخب النمسا، وأُجبر على الانسحاب من كأس العالم المقام في العام نفسه، وانضم اللاعبون إلى المنتخب الألماني رغمًا عنهم. من بين هؤلاء كان المهاجم الكبير، والذي يعده بعض الناس أعظم اللاعبين في تاريخ النمسا، ماتياس زينديلار الذي اعترض بشدة على ضم النمسا إلى ألمانيا النازية، واعتذر عن المشاركة في المنتخب بحجة تقدمه في السن، وكان يبلغ آنذاك 34 عامًا.

لم يلعب «زينديلار» في كأس العالم، ولكنه اضطر إلى المشاركة في مباراة ودية بمناسبة الوحدة بين ألمانيا والنمسا، وكانت الأخيرة بين الفريقين قبل ضمهما. نزل «زينديلار» إلى أرض الملعب بقميص النمسا في 3 إبريل 1938، فأحرز هدفًا أولًا لمنتخب بلده، ثم أتبعه زميل له بهدف آخر لتفوز النمسا على ألمانيا بهدفين مقابل صفر. لم يكتف «زينديلار» بالاحتفال بهدفه الأول، بل احتفل بحماس شديد بعد الهدف الثاني، ناظرًا مباشرة إلى المسؤولين النازيين الحاضرين في الاستاد كأنه يستفزهم.

بعد أقل من عام، في 23 يناير 1939، وجد «زينديلار» وصديقته (اليهودية) مقتولين في شقتهما في فيينا بتسمم أول أوكسيد الكربون. لم تتوقف هذه الحادثة عن إثارة الخيال والتساؤلات، فهل مات زينديلار في حادثة غير مقصودة لتسريب غاز؟ أم كان واحدًا من ضحايا البوليس السري النازي سيئ السمعة، «الغستابو» الذي كان يحتفظ بالفعل بملف له ويراقب مكان عمله؟

لم يعرف أحد إجابة حاسمة حتى اليوم، لكن تظل المعركة الصغيرة التي خاضها «زينديلار» على أرض الملعب ضد السلطة النازية، مظهرًا لعلاقة طويلة من التوتر أحيانًا والانسجام أحيانًا، تجمع بين كرة القدم والسياسية. أحيانًا يتحول الملعب إلى ساحة لمقاومة الظلم وتوحيد الجمهور ضد احتلال أجنبي، وأحيانًا أخرى يتحول إلى أداة للسياسة الخارجية تستخدمها الدولة في تقوية نفوذها، أو ساحة للدبلوماسية بين الدول.

في هذا التقرير نستعرض لقطات من التاريخ الطويل لهذه العلاقة التي استُغلت بصورة جيدة أحيانًا، وأسيء استغلالها في أحيان أخرى.

في مواجهة الاستعمار

قصة **«زينديلار»** تكررت كثيرًا في تاريخ كرة القدم، حيث يعبر اللاعبون عن طموحات جماهيرهم للتحرر من استعمار أو سلطة لا يقبلونها. واحدة من أشهر القصص في هذا السياق هي قصة المنتخب الجزائري غير القانوني في 1958، والمعروف باسم فريق جبهة التحرير الوطني. كان الاستعمار الفرنسي للجزائر يستجلب اللاعبين الجزائريين ويضمهم إلى المنتخب الفرنسي استعدادًا للمشاركة في كأس العالم عام 58، لكن بعض اللاعبين كان لهم رأي آخر.

فضل اللاعبون الجزائريون الهروب من فرنسا على المشاركة في صفوف المنتخب الفرنسي، ففي 14 إبريل من العام المذكور، أوقفت شرطة الحدود الفرنسية السويسرية سيارة تقل أربعة أشخاص، وبدلًا من أن يطلب العساكر أوراقهم بادروا بطلب توقيعات الأوتوغراف، إذ كانت السيارة تحتوي عددًا من نجوم الجزائر الكبار: عبد الحميد كرمالي ورشيد مخلوفي ومختار عريبي وعبد الحميد بوشوك، في طريقهم للخروج من فرنسا بصورة غير رسمية.

خاطر اللاعبون بإمكان القبض عليهم وحبسهم، لكن كما يستعيد رشيد مخلوفي الأحداث بعد ذلك، وكان لاعبًا في فريق سان إيتيان الفرنسي: «لم أتردد، كان عليّ ترك النادي، كنت أفكر طبعًا في كأس العالم، ولكن ما قيمة هذا مقارنة باستقلال بلادي؟»

اشتعل الغضب في فرنسا تجاه اللاعبين الهاربين، وضغطت الحكومة الفرنسية على الفيفا لفرض عقوبات على أي فريق يقبل باللعب مع الجزائر التي كانت تعد مستعمرة فرنسية في العرف الدولي. وحُكم على مخلوفي وغيره من اللاعبين بعشر سنوات سجن لأن بعضهم لم يؤد خدمته العسكرية. مع ذلك سافر المنتخب الجزائري إلى جميع العالم ولعب العديد من المباريات غير الرسمية، وحقق أداءً مبهرًا كانت جبهة التحرير الوطني تستخدمه في الدعاية للاستقلال.

في واقعة أخرى تجلى فيها الصراع السياسي على أرض الملعب، أحرز مارادونا هدفه الشهير في المنتخب الإنجليزي عام 1986، بلمسة رهيفة من يده لم يلاحظها الحكم لتنتهي المباراة بفوز الأرجنتين بهدفين مقابل واحد.

لم يتوقف هدف مارادونا عن إثارة الجدل حتى اليوم، فيكرهه بعض الناس لما فيه من غش والتفاف على قواعد اللعبة، ويحبه آخرون باعتباره صفعة لبريطانيا التي خاضت حربًا قصيرة ضد الأرجنتين في 1982، من أجل فرض سيطرتها على جزر فوكلاند، أو كما يسميها

الأرجنتينيون: «جزر مالفيناس،» حيث يعتبرها كل من الطرفين ملكًا لبلده.

يقول مارادونا: «انتصرت بريطانيا على أرض الواقع 20-0. كان الأمر عصيبًا، وكانت أجواء المباراة توحي كأننا ندخل حربًا جديدة في الملعب. كنت أدرك أني أضرب الكرة بيدي، لم أخطط للأمر، لكن الأشياء حدثت بسرعة، فلم يلحظها حكم الراية، وأعلن الحكم هدفًا، كان شعورًا رائعًا كأنه انتقام رمزي من الإنجليز».

أما في مباريات كأس الأمم الأوروبية الجارية حاليًّا، وجد كثير من اللاعبين مساحة للتعبير عن مواقف سياسية كذلك، أهمها كان حركة الركوع على ركبة واحدة الشهيرة، والتي تعلن حركة التضامن مع نضال ذوي البشرة السمراء، وهي حركة ابتكرها لاعب كرة القدم الأمريكية كولين كيبرنيك.

لكن بعض الجماهير لم تحب هذه الحركة، خصوصًا حيث توجد أحزاب يمينية قوية مثلما هو الحال في المجر مثلًا. فعندما نزل اللاعبون الأيرلنديون في بودابست على ركبهم رمزًا لتضامنهم مع اللاعبين السود في المنتخب وخارجه، واجههم الجمهور المجري بأصوات الاستهجان. وكذلك قابل المنتخب الروسي الحركة الرمزية بالتجاهل، فالعنصرية ضد السود «هي مشكلة الدول ذات التاريخ الاستعماري» كما يقول رئيس الوزراء المجري المحافظ فيكتور أوربان.

الكرة في ملعب السلطة

لكن الكرة لم تكن دائمًا في خدمة الشعب ضد المحتلين، حيث كثيرًا ما تستخدمها السلطة من أجل الدعاية لنفسها أو تثبيت أركان حكمها، أو الحصول على دعم شعبي. في عام 1934 زمن الفاشية كذلك، لكن هذه المرة في إيطاليا، حيث تقرر إجراء كأس العالم، وجد **موسوليني** في المناسبة فرصة ذهبية للدعاية لنظامه.

أمر موسوليني بتصميم كأس جديدة خصيصًا للبطولة، وأطلق عليها اسم **«كأس الدوتشي»** أو «كأس القائد». لكن الأمر لم يتوقف هنا، بل تنتشر مزاعم حتى اليوم بأن رئيس الوزراء الفاشي أمر بأن تسير البطولة وفق خطة معينة تنتهي بفوز إيطاليا في النهاية، حتى إنه اختار حكام المباريات بنفسه. وفي الواقع فازت إيطاليا بالبطولة.

كان هذا بالطبع يحدث قبل عصر البث المتلفز، ومن ثم يصعب التحقق من أي شيء إلا بالعودة إلى من شاهدوا المباريات بأنفسهم. لكن المهاجم النمساوي جوزيف بيكان مثلًا علّق على مباراة النمسا وإيطاليا قائلًا: «كان الحكم يلعب إلى جانبهم، فعندما مررت الكرة نحو الجناح الأيمن، وكان لاعبنا شيشك في طريقه إلى الكرة، أعادها الحكم برأسه إلى الإيطاليين، كان أمرًا صعب التصديق».

بعض اللقطات المصورة من هذه البطولة ما زالت تثير الجدل إلى اليوم، ويرد آخرون بأن هذه الاتهامات تتكرر مع كل دولة، ولم تقتصر قط على النظام الفاشي.

لكن الديكتاتورية ليست دائمًا بهذه القوة حتى تتمكن من السيطرة على بطولة بأكملها والتحكم في نتائجها، وعندما أتاحت التلفزة اللعبة لجمهور أوسع أصبحت هذه الأمور أصعب من ذي قبل. لكن مع ذلك يحاول القادة التحكم في المباريات من أجل إخراج صورة جيدة لبلادهم، وقد تكون النتيجة كارثية.

في كأس العالم 1974، والذي استضافته ألمانيا الغربية، خسرت **زائير** في دور المجموعات أولًا أمام اسكتلندا بهدفين مقابل لا شيء، ثم بعد ذلك تلقت هزيمة مؤلمة من يوغوسلافيا، حيث تلقت تسعة أهداف ولم تسجل شيئًا كذلك. بقي أمام زائير مباراة واحدة في دور المجموعات، ضد البرازيل.

كان الرئيس الزائيري آنذاك، **«موبوتو»**، أنفق كثيرًا على الفريق، ولم تعجبه الهزيمة أمام يوغوسلافيا، فأرسل إلى اللاعبين يخبرهم أن خسارتهم أمام البرازيل بأكثر من ثلاثة أهداف ستجعل حياتهم «غير مريحة أبدًا» بعد ذلك، وادعى بعض اللاعبين أن رجال موبوتو أخبروهم أنهم لن يعودوا مجددًا إلى بلادهم.

سجلت البرازيل ثلاثة أهداف بالفعل، وفي آخر خمس دقائق من المباراة، احتسب الحكم ضربة حرة مباشرة للبرازيليين من مكان شديد الخطورة، ووقف لاعبو زائير في حائط بشري في انتظار ضرب الكرة. عندما أطلق الحكم صافرته، وقبل أن يتحرك لاعبو البرازيل نحو الكرة، انطلق المدافع الزائيري موبيو لونغا تاركًا الحائط البشري ليسدد الكرة بعيدًا إلى الطرف الآخر من الملعب.

ظن الجمهور أن لاعبي زائير لا يعرفون قواعد اللعبة، وحتى الآن يتناقل عشاق اللعبة هذه اللقطة باعتبارها طرفة تاريخية. لكن الحقيقة أن لونغا فعل هذه الحركة الغريبة بهدف تضييع الوقت، إذ كان هناك عقاب شديد ينتظر اللاعبين في بلادهم إن سمحوا بهدف آخر.

1

ضـــربـــة حـــرة للبـــرازيـــل
فـــي آخـــر خمـــس دقـائـــق

2

الحكم يطلق صافرته، والنتيجة
بالفـعل 3 - 0 لصالح البرازيـل

3

موبيو لونغا يسدد الكرة كأنها
ضربة حرة لزائير لا للبرازيليين

4

يتلقى لونغا إنذارًا، ويعتقد
الجمهور أنه لا يعرف قواعد
اللعبة

5

لكن الحقيقة أكثر إظلامًا،
فقد كان يخشى على حياته

وأحيانًا تنجح الدول في تجنب الهزائم المهينة بطرق أكثر نعومة، مثلما فعلت الأرجنتين مثلًا في كأس العالم 1978، والذي تستضيفه وتحاول استغلاله دعائيًا كذلك، عندما انتصرت على بيرو بستة أهداف. بعد المباراة بأسابيع فقط، تلقت حكومة بيرو 35,000 طن من القمح الأرجنتيني، وقرضًا بخمسين مليون دولار، من دون فوائد.

أزمات دبلوماسية

أحيانًا تكون الظروف الجيوسياسية عائقًا دون السير الطبيعي للبطولات أو المباريات وأحيانًا لا. مثلًا في كأس العالم 98 توقع الجمهور مباراة ملحمية بين الولايات المتحدة وإيران بسبب الخصومة السياسية، لكنها كانت مباراة هادئة تبادل فيها اللاعبون الورد، وإن كان الانتصار الإيراني قد تبعته احتفالات هادرة في الشوارع الإيرانية، كأن إيران فازت بالكأس.

لكن في أحيان أخرى يكون للصراعات الدولية نتائج أكبر أثرًا. لعب فريقا **كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية** في تصفيات كأس العالم 2010 مثلًا، وكان مقررًا إقامة المباراة في بيونغيانغ، لكن الفيفا تدخلت في النهاية لنقل المباراة إلى شانغهاي بسبب رفض كوريا الشمالية القاطع أن يُعزف النشيد الوطني الجنوبي على أرضها.

وفي حالة رضوخ كوريا الجنوبية لهذا الشرط غير المريح، فإنها مضطرة كذلك للعب المباراة من دون جمهور، ومن دون تغطية صحفية، وطبعًا من دون بث مباشر. لا عجب لهذا أن المرة الوحيدة التي فازت فيها كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية، من بين 16 لقاء جمع الاثنين، كانت في بيونغ يانغ في 1990.

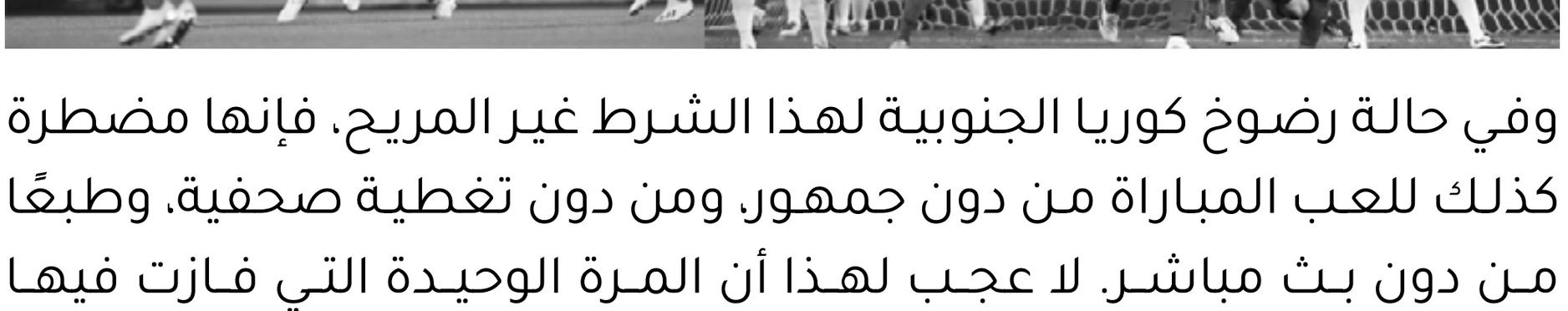

لكن الأزمات الدبلوماسية ليست دائمًا بسبب بلدين متخاصمين، وإنما يحدث أحيانًا بسبب تصرف شخصي من أحد اللاعبين، مثلما نشر **مسعود أوزيل** في أواخر 2019، وكان لاعبًا في الأرسنال الإنجليزي حينذاك، تغريدة وصورة على إنستغرام عبر فيهما عن تعاطفه مع مسلمي الإيغور الذين كانوا يتعرضون لحملة قمع شديدة من الحكومة الصينية.

وجاء رد الفعل الصيني عنيفًا، فلم تكتف بالإدانة الرسمية لتعليقاته فقط، وإنما أغلقت المواقع التي ينشئها معجبوه في الصين، وعدلت لعبة الفيديو الشهيرة «Pro Evolution Soccer» لإزالته منها، ومنعت بث مباريات الأرسنال في الدوري الإنجليزي، وهددت بمد هذا المنع حتى يقدم أرسنال اعتذارًا رسميًّا ويدين تصريحات أوزيل. رضخ النادي نسبيًّا، وأعلن أن اللاعب لا يعكس رأي المؤسسة التي يعمل بها، وهي مؤسسة غير معنية بالسياسة.

لم تكن الحملة ضد أوزيل وأرسنال حكومية فقط، بل شعبية كذلك، إذ عبّرت حشود من الصينيين عن غضبها على وسائل التواصل الاجتماعي، وكانت الأزمة كلها في تصاعد حتى تبرأ النادي من تصريح أوزيل. وهو ما يزيد العلاقة بين كرة القدم والسياسة تعقيدًا، فهل كان على النادي أن يقف وراء حق لاعبه في التعبير ويخاطر بخسارة جمهوره؟ أم أن كرة القدم يجب أن تظل بعيدة عن السياسة؟ وكيف يمكن أن تكون الكرة بعيدة عن السياسة إذا كان الجميع يسعى، كما رأينا، لاستخدامها من أجل تلميع صورته أو مقاومة أعدائه؟

المصـــادر

- When worlds collide: Soccer vs. politics
- Sindelar: the ballad of the tragic hero | Soccer
- FOOTBALL How football helped liberate Algeria from France
- The Hand of God is Diego Maradona's most fitting legacy
- Euro2020:Thepoliticalguidetotheeuropeansoccerchampionships
- The 1934 World Cup - Soccer Politics / The Politics of Football
- This Time for Africa: Remembering the Leopards Part Two
- North and South Korea Get Ready to Do Battle–on the Soccer Field
- Soccer Is Politics, Whether It Likes It or Not (Published 2019)
- Arsenal warned that China media blackout will continue until club apologises over Mesut Ozil remarks

نقطة
nuqta

NUQTADOC